

**الشيخ عدون وأبناء المعهد
ودورهم في الحركة الوطنية والسياسية
قديمًا وحديثًا
د. صالح بن عبد الله أبو بكر**

خطة البحث:

تمهيد:

المحور الأول: البيئة السياسية والوطنية.

أولاً. الحس الوطني لدى زعماء الإصلاح.

ثانياً. مدرسة الشيخ بيوض والفكر السياسي الوطني.

1. مرتكزات الشيخ عدون في التكوين الوطني السياسي:

2. معهد الحياة مدرسة في السياسة والوطنية:

3. إعداد وتوجيه أبناء المعهد سياسياً ووطنياً:

ثالثاً: الشيخ عدون الوزير الأول للشيخ بيوض .

رابعاً: الشيخ عدون هو المعهد، والمعهد هو الشيخ عدون.

المحور الثاني: الشيخ عدون و فكره السياسي والوطني .

أولاً: مواقفه من القضايا الوطنية .

ثانياً: الشيخ عدون و قضايا المسلمين .

ثالثاً: علاقة الشيخ عدون بالطلبة المتخرجين من المعهد .

المحور الثالث : طلبة معهد الحياة في الحركة الوطنية و السياسية .

أولاً : قديماً .

1. في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2. في الحركة الوطنية والأحزاب السياسية .

3. في الثورة التحريرية.

ثانياً : حديثاً .

1. في المجال السياسي.

أ. أبناء المعهد مناضلون في حزب جبهة التحرير الوطني

ب. في المجالس المنتخبة والبرلمان.

2. في المجال التربوي.

- أ. طالبة معهد الحياة أستاذة في معهد الحياة:
ب. طالبة معهد الحياة أستاذة في الثانويات.
ج: طالبة معهد الحياة مديري الثانويات:
د. طالبة معهد الحياة دكاترة في الجامعات.
هـ. طالبة معهد الحياة مفتشين.
3. في المجال الإداري.
أ. طالبة المعهد مديرين تنفيذيين بالولايات.
ب. طالبة معهد الحياة إطارات للدولة الجزائرية.
ج. طالبة معهد الحياة في الهيئات الدولية.
4. في قطاع العدالة.
أ. طالبة معهد الحياة قضاة.
ب. طالبة معهد الحياة محامين.
ج. طالبة معهد الحياة موثقين.
5. طالبة معهد الحياة دكاترة وإطارات خارج الوطن:

تمهيد:

منذ بداية القرن العشرين، نمت الحركة الوطنية في الجزائر عموماً، بتوجهات المشايخ، والعلماء المصلحين، الذين تأثروا بالحركات الإصلاحية، في المشرق العربي، وكان من إستراتيجية العلماء في البداية، تشجيع الإقبال على المدارس، الحكومية الفرنسية، لتعلم لغة المستعمر، والخروج من الجهل، و التخلّف، وتولي المناصب الإدارية الحساسة، وخاصة القضاء والترجمة، لما لهما من تأثير مباشر على مصالح المجتمع وقيمه، ثم تأسست بعد ذلك المدارس الحرة، للجمعيات الخيرية، ومن أهمها مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الشمال، و مدارس الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري، خصوصاً بوادي ميزاب، وعلى قممها معهد الحياة، الذي أسسه الشيخ بيوض بإلحاح وتوجيه من الشيخ عدون¹، وكان التعليم العربي الحر، هو العامل المشترك التي يجمع علماء الجزائر، لاستنهاض الهمم ومحاربة البدع والخرافات، والتمسك بالدين الإسلامي الصحيح، مركزين على اللغة العربية، أهم مقوم من مقومات الشخصية الوطنية، فالتعليم هو المنبه الذي تستعيد به الأمة وعيها وحركيتها².

¹ - انظر تفاصيل جهود الشيخ عدون، لإقناع الشيخ بيوض بتأسيس معهد الحياة، سعيد شريف، معهد الحياة نشأته وتطوره.
² - د. محمد ناصر، المقالة الصحافية الجزائرية من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ج 02 ص 31 و 32.

وقد كان الاستعمار الفرنسي للجزائر، من أشد وأنكى أشكال وألوان الاستعمار في العالم العربي والإسلامي، فالاستعمار الفرنسي ليس كغيره، حماية أو وصاية بل كان استعمارا استيطانيا، يحكم الشعب الجزائري، حكما مباشرا، بالقوانين الفرنسية، ويهدف إلى إذابة وإلغاء الهوية الوطنية، من جذورها، فالدين واللغة العربية، هما الدعامتان الأساسيتان، للهوية الوطنية، ولذلك كان دور العلماء المصلحين، أساسيا ومحوريا، في إعادة بعث الهوية الوطنية، انطلاقا من الإصلاح الديني، والتربوي، وهذا هو مجال جهاد الشيخ بيوض، والشيخ عدون في معهدهما معهد الحياة، الذي تخرج منه آلاف الطلبة فانتشروا في كل مدن ميزاب، والجزائر وتونس، وليبيا وعمان وتشاد، ومالي وزنجبار³.

ونعني بالحركة الوطنية، في موضوعنا هذا، كما عرفها الأستاذ الهادي الحسني: "هي الحركة التي عملت لاستعادة الاستقلال، بكل ما تعنيه كلمة الاستقلال لغة ودينا وقيما وعادات.."⁴. هذا قديما أما حديثا فنقصد بالحركة الوطنية والسياسية، تولى المناصب الإدارية، و المشاركة في النشاط السياسي و تقلد المناصب الانتخابية في جميع المستويات.

فما هو دور طلبة معهد الحياة في الحركة الوطنية والسياسية قديما وحديثا ؟

المحور الأول: البيئة السياسية والوطنية

وستحدث فيما عن أربع نقاط هي:

أولا. الحس الوطني لدى زعماء الإصلاح.

ثانيا. مدرسة الشيخ بيوض والفكر السياسي الوطني.

ثالثا: الشيخ عدون الوزير الأول للشيخ بيوض .

رابعا: الشيخ عدون هو المعهد، والمعهد هو الشيخ عدون.

أولا. الحس الوطني لدى زعماء الإصلاح

إن الحركة الوطنية والسياسية، في وادي ميزاب عريقة، فقد بدأت منذ رفض دخول الاستعمار الفرنسي، إلى وادي ميزاب، فقد كان الشيخ أطفيش، قطب الأئمة أكبر معارض للتعامل مع الاستعمار، وكان يدعو إلى الجهاد المتواصل، ضد العدو الكافر، كما شدد وأنكر على الذين عقدوا معه معاهدة الحماية، سنة 1853 م⁵ وكان يقول: "إن تشيع ثمانين جنازة في اليوم تخرج من بني يزقن أحب إلي من أن أسمع أن فرنسا وضعت قدمها على حجر من تبيضت. وهو مكان معروف في بني يزقن" وقد أعلن الشيخ البراءة⁶ من الذين وقّعوا على المعاهدة، ثم قبل

3 - د. باجو مصطفى، عندما تغيب شمس العلماء م س و 06.

4 - الأستاذ محمد الهادي الحسيني كتاب الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ بيوض ، ص 26.

5 - مارست فرنسا ضغوطا، سياسية وحصارا اقتصاديا على وادي ميزاب واستغلت الفتن الداخلية، فأبرمت معاهدة الحماية مع جماعة من العيان، بينما الطلبة وفي مقدمتهم الشيخ اطفيش فقد نابذ وعارض كل صلة مع الدولة المشتركة ولو أدى ذلك المر على محق ميزاب من الوجود، انظر الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب م س ص 99.

6 - البراءة هي المقاطعة الدينية والاجتماعية للمجاهر بالمعصية في المجتمع الإباضي، قياسا على الثلاثة الذين خلفوا فقاطعهم الرسول ﷺ والمسلمون.

توبتهم أخيرا لما بسطوا وأوضحوا له عذرهم، فيما حملهم على التفاوض، مع فرنسا والتمويه عليها، بهذه المعاهدة الشكلية، في خبر يطول⁷.

كانت الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب ترى أن الحركة الوطنية، في الجزائر متكاملة، لا تقبل التجزئة، بين الإصلاح الديني بمحاربة البدع والخرافات، التي شوهدت الدين الإسلامي، والنهوض بالتعليم العربي الحر، الذي يبني الهوية والشخصية الوطنية، ومنه يكون تكوين جيل يؤمن بالثورة، والجهاد والتضحية، بالمال والنفوس، من أجل تحرير الوطن، لأن هذه المعاني كانت ضربا من الخيال، قبل الحركة الوطنية، فكان يشاع في المجتمع الجزائري، منذ نهاية المقومات الشعبية في القرن 19م أن فرنسا قوة لا تهزم، وأن فرنسا أم الحضارة، ووجودها في الجزائر قضاء وقدر، وكل من حاول مجرد التفكير في الثورة عليها، أو إخراجها فقد كفر بالقضاء والقدر، فكانت الإشاعة تفرض على الجميع الصبر والخضوع، والاستكانة للام الحنون، والأمة المتحضرة، الرؤوفة بنا، ويصرح الحركة والعملاء أن فرنسا جاءت لمصلحتنا، وتعمير بلدنا، فنحن فقراء جهلاء أميون، لا حول لنا ولا قوة، ويستحيل علينا أن نسير الجزائر بمفردنا، فيستسلم المتخاذلون للأمر الواقع قائلين فلنترك الحكم والسياسية لأمننا فرنسا، ولنحافظ نحن على ديننا التقليدي وعاداتنا وطقوسنا فقط. هذا هو الشعور الإحباطي الذي عشنش في عقول الكثير من الجزائريين قبل الحركة الوطنية.

ولهذا كان رجال الإصلاح متيقنين أن التعليم العربي الحر عن سيطرة الاستعمار، هو المشتلة الوحيدة، لتكوين الإطارات الوطنية، الغيورة لتولي المناصب في الإدارات والتعليم، والسياسية، بعد الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية.

وقد صدق الأستاذ الهادي الحسني، عندما يصف علماء الإصلاح بالماء المعين، الذي يسقي الأرض فتنبت كل ما تشتهيه الأنفس، وتلد الأعين، ويصف الأستاذ الشعب الجزائري قبل النهضة الإصلاحية، وهو يغط في سباته العميق قائلا: "لقد كان الناظر إلى الشعب الجزائري قبل أن يؤذن فيه العلماء العاملون المصلحون. يحسبه يقظا وهو راقد، متحركا وهو هامد، نشطا وهو خامد، متحدا وهو متفرق، مهتديا وهو ضال، ذاكرة وهو ناس، واعيا وهو غافل، شاهدا وهو غائب"⁸.

ويرى العلماء المصلحون، أن الوعي السياسي وتنمية الحس الوطني، لا يكون إلا بالدعوة إلى الوحدة الوطنية، ونبذ التفرقة والعنصرية، والجهوية بين أفراد الشعب الجزائري، كما كان يبث الاستعمار سياسية فرق تسد، ليبقى مهيمنا على خيرات البلاد ومستعبدا للعباد، وكان

7 - حمو عيسى النوري، مقال تاريخ حركة الإصلاح بوادي ميزاب ص 01.

8 الأستاذ محمد الهادي الحسني، مقال الإمام إبراهيم بيوض ودوره في الحركة الإصلاحية الوطنية والحضارية، من وحي البصائر، ص 84.

العلماء المصلحون متيقنين أن تحقيق ذلك يحتاج إلى جهود جبارة، في إصلاح ذات البين، وتصحيح المفاهيم وتعبئة الجماهير، للوقوف أمام المؤامرات الاستعمارية⁹ وقد ترسخ لدى زعماء الإصلاح في الجزائر كلها، أن الاستقلال لا يكون إلا بالثورة على المستعمر، والثورة لا تكون إلا بالنهوض بالأمة، وبتحضير الأجيال وتكوين النشء¹⁰ الذي يؤمن بهويته، ويستعد للتضحية من أجلها، والاستشهاد في سبيل الحرية.

ثانيا. مدرسة الشيخ بيوض والفكر السياسي الوطني .

1. مرتكزات الشيخ عدون في التكوين الوطني السياسي:

2. معهد الحياة مدرسة السياسة والوطنية:

3. إعداد وتوجيه أبناء المعهد سياسيا ووطنيا:

الشيخ عدون هو العضد الأيمن و الوزير الأول للشيخ بيوض، وخليفة الشيخ أبي اليقظان في العمل التربوي، عندما تفرغ أبو اليقظان للبعثات العلمية والصحافة، إن هذا الثلاثي -بيوض، أبو اليقظان، عدون- يشكل مدرسة وطنية وسياسية متميزة بالتنسيق وتوزيع الأدوار فعدون تفرغ للتربية والتعليم، كما تخصص أبو اليقظان في البعثات العلمية والصحافة، وانبرى بيوض للإصلاح الديني والاجتماعي العام، وللشيخ بيوض منهج ومدرسة متميزة في العمل السياسي، و الثوري، قد لا يدركها كثير من ضعاف العقول، فيقول عنه عبد الله بن طبال¹¹ " إن الفضل يعود إلى الشيخ بيوض في إنقاذ وحدة التراب الوطني، وبقاء الصحراء بكل خيراتها جزائرية، وبدونه كان يمكن أن تستمر الثورة التحريرية عقداً آخر، ومرة أخرى يقول بن طوبال: إن دور غرداية. المنطقة. هو الذي كان حاسماً في الموضوع، و غرداية تعني الشيخ بيوض "¹².

كان الشيخ عدون الأستاذ المرابي من السابقين لإصلاح نظام التعليم بوادي ميزاب عموماً، والقرارة خصوصاً، ضمن المدرسة السياسية البيوضية، فقد كان الشيخ عدون يزرع وينمي الوطنية في طلبته في كل دروسه، من درس الأخلاق العام، وفي كل المناسبات وخاصة عند حفلات افتتاح السنة الدراسية، وأثناء الجمعيات الأدبية، التي كانت تنشط سرا وخفية عن عيون الاستعمار وأذنايه، لما كانت تمثل تلك الجمعيات، من خلايا التكوين الوطني والسياسي، لطلبة معهد الحياة تجسيدا لشعار المعهد. الأخلاق قبل الثقافة ومصالحة الجماعة قبل مصالحة الفرد. ومن هذا الشعار استمد طلبة المعهد، روح التضحية ونكران الذات، وتدريبوا على السمو والتعالي عن الأخلاق الدنيئة، والمصالح الفردية، والأنانية الضيقة، فتخرجوا إطارات ناضجة، واعية تتفانى في خدمة المصلحة العامة، أينما حلوا، وحيثما ارتحلوا، تتقد روحهم بالوطنية العالية، التي ما إن صادفت الحركة الوطنية في الشمال، إلا وتضافرت جهودها معها¹³، فلم تكن

9 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، ص11.

10 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، ص13.

11 - هو وزير الداخلية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أنظر د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي ص 149.

12 - شهادة المجاهد عبد الله بن طوبال وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة الجزائرية، الجزائر 01 مارس 1990.

13 - د. باجو مصطفى عندما تغيب شمس العلماء، و07.

الجمعيات الأدبية مجرد حلقات للتكوين النظري، بل كانت ميدانا لترويض العقل، على البحث والنظر، والنقاش والحوار والنقد، خصوصا في مقارعة الاستعمار، وتنمية الروح الوطنية وبعث عزة المسلمين، وفداء الأوطان والسعي لإنقاذها، من برائن الكافرين¹⁴، ومحو خرافة أن فرنسا ستبقى في الجزائر إلى يوم الحساب.

وكان الشيخ عدون المعلم القدوة، والأستاذ المربي، إخلاصا وانضباطا، وحزما ونظاما، وجدا واجتهادا، تسييرا وتطويرا، قد أعطى لمعهد الحياة كل ما يملك، من نفس ونفيس، حتى غدا المعهد جزءا من نفسه، وكائنا حيا ملتصق باسم الشيخ عدون، فلا يذكر معهد الحياة إلا ويذكر الشيخ عدون، ولا يتكلم عن المعهد بمعزل عن الشيخ عدون، والمعهد اليوم يعد معلما إسلاميا وصرحا حضاريا في الجزائر، وشريفي سعيد في مقدمة بناته¹⁵.

وقد كانت الجمعيات الأدبية، مضمارا لبعث الروح الوطنية وترسيخ العقيدة الصحيحة، ومحاربة الاستعمار، وفضح مخططاته إذ تُعرض في تلك اللقاءات قضايا الحرية، واستنهاض همم المسلمين، وحب الأوطان، والسعي لإنقاذها من برائن الكفار، وكانت جلسات الجمعية سرية ليلية، لا علم للإدارة الفرنسية بها، ويتعهد أعضاؤها بكتف أمرها، وعدم إفشائه ولو لأقرب الناس وأعز الأصدقاء، وفيها تطالع المجلات والجرائد التي تصدر من المشرق العربي، ويتبارز الطلبة باقتفاء وتقليد تلك النماذج، من المقالات والقصائد السياسية، والثورية، لاستنهاض الهمم، وفضح عيوب الاستعمار، نذكر منها قصيد للأستاذ صالح خباشة ومطلعها:

فداء الجزائر روجي ومالي ألا في سبيل الحرية

ولقد تركت تلك الجمعيات الأدبية، تراثا أدبيا رائعا، يعج بالروح الوطنية الواعية، والتي حمل رايتها الشيخ عدون¹⁶.

ومن هذه الجمعيات تخرج شباب معهد الحياة، لا يؤمن بخرافة فرنسا أنها قضاء وقدر، ولا مناص للشعب الجزائري إلا الصبر والرضوخ للأمر الواقع، وأن فرنسا قوة القاهرة وحضارة راقية، وبعد تخرج هؤلاء الشباب تحملوا المشعل، فأصبحوا أبطالا في ميادين الجهادين الأكبر والأصغر.

كانت جهود العلماء المصلحين، في وادي ميزاب جبارة، وجهود الشيخ عدون هي أساس كل تلك الجهود لأنها تركزت على تربية وتكوين الأجيال، التي تحمل المشعل، ولهذا فقد كان العمل الإصلاحي تكامليا، عاما وشاملا في كل الميادين فالسياسة في نظرهم هي الدين والدنيا معا، فلم يفرق الشيخ أبو اليقظان في جميع ما كتب بين الدين والوطن واللغة، فهي في تصوره أضلاع لمثلث واحد لا يمكن الفصل أو الاستغناء عن واحد منها¹⁷، فيقول الشيخ بيوض كانت وظيفتي غسل

14 - د. باجون م س و 07.

15 - د. محمد ناصر، مقال منشور بمجلة الحياة، الشيخ عدون الأستاذ المربي، العدد 10 أكتوبر 2006 ص 191.

16 - د. مصطفى باجو، الشيخ عدون في الخالدين مقال بمجلة الحياة العدد 10 أكتوبر 2006 ص 239.

17 - د. محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 94.

العار عن الأمة، وتطهيرها من أدناسها، بشباب صالح، مثقف بالثقافة الصحيحة، و متحمسا لأداء الرسالة المنوطة به، شباب أكفاء لكل ما يسند إليهم¹⁸ من مهام ومسؤوليات.

و منهج مدرسة الشيخ بيوض في تكوين الطلبة سياسيا هو الاستنفار العام، والتعبئة الشاملة، لمقاومة العداء المستحکم الذي تشنه فرنسا، وأذناها ضد العلماء المصلحين، الذين تعتبرهم فرنسا هم أخطر من رجال السياسية، الذين يمكن شراؤهم ومراوغتهم بفتات موائد السياسة أما العلماء فأصحاب مبادئ مستعدون للشهادة من أجلها، فقد شددت فرنسا عليهم الخناق، في كل أرجاء الوطن، إذ يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "وقد خضع العلماء خلال الثلاثينيات والأربعينيات، إلى نفس المعاملة التي خضع لها السياسيون، من جانب الإدارة الفرنسية، التي اعتبرتهم خطرا على الوجود الفرنسي، كما اعتبرت أولئك، وزجت بزعمائهم في السجون، ووجهت إليهم مختلف الاتهامات وحكمت عليهم أحكاما قاسية"¹⁹.

1. مرتكزات الشيخ عدون في التكوين الوطني السياسي.

امتازت الحركة الإصلاحية البيوضية، التي تزعمها الشيخ بيوض، ووزيره الأول الشيخ عدون، بمنهج الإصلاح الشامل، لكل مجالات الحياة، و في هذا يقول الشيخ بيوض : " إخواني الفضلاء، لم يكن عملي خاصا بميدان العلم، ولكن يتناول جميع نواحي الأمة، ... إننا نجد ونعمل، حتى نصل الغاية، وهي قربة أماننا، وإننا لا بد واصلون بحول الله ..."²⁰

كما كان الشيخ بيوض، ووزيره الشيخ عدون، يوصون تلاميذ المعهد بتبوء كل المناصب العلمية، والعملية، والإدارية، والسياسية، فكان الشيخ عدون يشرف شخصيا في نهاية كل سنة، على توجيه طلبة المعهد، بعد تخرجهم فيختار من يوجهه إلى مدرسة الحياة لتربية الأجيال، ثم يسأل عن الذين التحقوا بالجامعات، داخل الوطن وخارجه، فيستفسر عن التخصص الذي اختاروه، وعن الغاية والهدف من ذلك، ويحثهم على اختيار التخصصات الهامة، التي تفيد المجتمع والوطن، كما يتدخل حتى في نوع ومستوى التكوين الجامعي، الذي يتلقونه فيطلب منهم دائما، المثابرة والنجاح، لتبوء المراكز الأولى، التي تشرف المعهد الذي تخرجوا منه، كما كان الشيخ عدون يشرف بنفسه ومباشرة، على تعيين المعلمين في كل المدارس القرآنية الحرة، في كل مدن التل، من وهران إلى قسنطينة، وتبسه، فيأمر الطالب أن يلتحق بالمدرسة التي يختارها، ويتصل بالجماعات المشرفة على تلك المدرسة، لتستقبل المعلم الجديد، وتوفر له كل الظروف المواتية، لتأدية عمله، وقد تتعارض رغبات الطالب الشاب الطموح مع أوامر الشيخ عدون، لكن اغلب الطلبة ينصاعون ويؤجلون طموحهم ليرضوا رغبة وطلب أبهم الروحي احتراما وإجلالا وأملا في بركته ورضاه، فكان الطلبة يسمون سنوات التكليف، التي يأمر بها الشيخ عدون .
الخدمة الوطنية للشيخ عدون ..

18 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، ص 15.

19 - د. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، ص 85.

20 - محمد على دبور، أعلام الإصلاح في الجزائر 1921-1975 ج 01 ط 01 مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر سنة 1980 ص 106.

ويوجه الشيخ بيوض طلبته قائلاً: " ونحن واثقون بالنجاح والنصر النهائي، نصلح كل مجلس، وتدخل في كل محكمة، وتنبأ كل منصب، ونقضي على كل فساد، فيعم الإصلاح جميع الهيئات والمؤسسات، وهذه عهد قطعناها على أنفسنا، وسنحققها في القريب بإذن الله، لا يصدنا عن غايتنا المتمسكون بمناصبهم، والمشرفون عليهما...." ²¹.

هذا هو المنهج الإصلاحي الذي تبناه معهد الحياة، في النهضة بالأمة، وإصلاح الأوضاع، ومحاربة الفساد المتفشى في المجتمع، فالصراع كان مريراً، والعقبات كثيرة، والأعداء كثيرون، وأشداء، وبعضهم في مراكز سياسية عليا، متواطئون مع الاستعمار، ولهذا يحذر الشيخ بيوض تلاميذه من أعداء الإصلاح، وتفويت فرص إجهاض النهضة عليهم، فيقول ناصحاً لهم: "...لولا هذا السعي في طرق عدة للدفاع، وجلب المنافع، لوجد أعداء الإصلاح والأمة فرصهم للقضاء علينا...." ²².

من خلال هذه المرتكزات يوضح الشيخ بيوض خطته في الإصلاح موجهها طلبته للعمل الإصلاحي، معتمداً على الشباب المثقف الواعي، الناضج مكوناً أجيالاً وأجيالاً يرسلهم جنوداً إلى كل الميادين التربوية، والاجتماعية، والسياسية ²³.

اشتهر الشيخ عدون بأنه مدافع مستميت عن اللغة العربية لغة القرآن، وقد بذل جهوداً جبارة ونفيسة في تعليمه، وتفتيشه وكل توجهاته، إلى نصرته لغة الضاد نحواً وبلاغة وصرفاً، وكثيراً ما تدخل في الحفلات والمهرجانات، منتقداً تقديم أي نشاط بالميزابية، وقد كان عشقه للغة العربية عظيماً، يطالب ويصر على تقديم الأناشيد والمسرحيات، والمحاضرات بالعربية لا غير، وكان يرى أن من أهم وسائل مقاومة الاستعمار الفرنسي ومؤامراته في فرنسة الشعب الجزائري، هو تثبيت اللغة العربية، وأن اللغة العربية هو أقوى ركائز الهوية الوطنية.

ومن شدة نصرته الشيخ عدون للغة العربية، في كل المحافل ولا يرضى عنها بديلاً حتى ولو كانت اللغة الميزابية المحلية، التي ناصرها بعض الشباب، فقد كان الشيخ عدون لا يناصر الحديث أو الإنشاد بالميزابية وكان يقول: " كل الجهد المبذول في اللغة الميزابية أعتبره تضييعاً للوقت بل يجب أن يبذل ويوجه إلى العربية أولاً وقبل كل شيء " ²⁴.

فقد كان الشيخ عدون حامياً ومناصر اللغة العربية، من كل العابثين بها أو الاستنقاص من قيمتها لأنه يرى أن اللغة العربية هي لغة القرآن، أولاً ولغة الدين وهي اللغة الجامعة للقلوب، والحامية للأصالة، والبانوية للكيان، والضامنة للبقاء، وإصرار الشيخ عدون على تمجيد اللغة العربية، في كل المجالس مهما كلفه ذلك من أضرار أو قلق وضجر، لدى بعض الشباب المنتصر إلى إحياء اللغة الميزابية ²⁵.

21 - محمد علي ديوز ، م س ص 106.

22 - محمد علي ديوز ، م س ص 109.

23 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، ط 01 1991 المطبعة العربية ص 17.

24 - د. مصطفى باجو، الشيخ عدون في الخالدين، مجلة الحياة ص 246.

25 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ عدون معن التجديد والتطوير ن مقال بمجلة الحياة ص 206.

2. معهد الحياة مدرسة في السياسة والوطنية.

كان معهد الحياة منذ نشأته معقلا ومدرسة في الوطنية، فلم تقتصر أهدافه على تلقين العلوم، والمعارف، فحسب بل كان منهجه التربوي، شاملا لكل الميادين، وفق الخطة الإصلاحية التي تبناها الشيخ بيوض ومساعدته الشيخ عدون، ومن أساسيات معهد الحياة نشر الوعي السياسي، وتنمية الحس الوطني، الذي كاد أن يخمد مع طول فترة الاستعمار، و كان منهجه في ذلك الدعوة إلى الوحدة الوطنية، ونبد التفرقة والعصبية الجهوية أو المذهبية المقيتة، وإصلاح ذات البين، وتهيئة الجماهير للوقوف أمام المؤامرات الاستعمارية، وتدريبها على فهم لغة المستعمر، وخططه التدميرية، ووعي حقيقة نواياه الخسيسة وعدم الاطمئنان إلى المظاهر والحيل والأكاذيب، ويرمي معهد الحياة إلى تدريب طلبته على تحدي الاستعمار، واستغلال المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية، للقيام بأي عمل يسهم في تجسيد كل ذلك ميدانيا، وهذا يشبه ويتطابق إلى حد كبير مع دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فرغم ادعائها في قانونها الأساسي، عدم الخوض في السياسة تمويها وتضليلا للرأي العام الاستعماري²⁶، إلا أن نشاطها التربوي والكشفي كان الحجر الأساس والقاعدة الصلبة للعمل السياسي الوطني، فاتخذت شعارها الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.

وكان من أهداف معهد الحياة المشاركة بالأراء في كل القضايا السياسية الحساسة، التي شغلت أو تشغل الساحة السياسية في الجزائر، والتي تحدد مستقبل البلاد السياسي والديني، كقضايا المرباطية، والتجنيس، والاندماج، والتمثيل النيابي، والتجنيد الإجباري، والقوانين الاستثنائية والاحتفال الفرنسي بالاحتلال المئوي وغيرها²⁷ وقد كانت هذه المواضيع من أخطر المخططات الاستعمارية التي دبرها للقضاء على الهوية الوطنية الجزائرية²⁸.

ومن ركائز الروح الوطنية وأقوى أسس الهوية الوطنية، التي سعى المستعمر على تحطيمها اللغة العربية، فالدفاع عن العربية في الجزائر جهاد وثورة، لقطع جذور الاستعمار من أساسها، ويشهد له الدكتور عبد الكريم خليقة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني أن معهد الحياة: كان أحد حصون العربية في المغرب والوطن العربي، حمل لواء العربية لغة القرآن، ونازل الغزاة المستعمرين الذين حاولوا القضاء على مقومات الشعب الجزائري البطل وطمس هويته العربية الإسلامية²⁹.

3. إعداد وتوجيه أبناء المعهد سياسيا ووطنيا.

²⁶ - جاء في النظام الداخلي لنادي الترقى، بمنع في النادي الخمر والميسر وممارسة السياسة. (جاء في القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الفصل الثالث : لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال ان تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية (ينظر أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 الجزء الثاني، ط 02، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة سنة 1977 ص 481.

²⁷ - أبو القاسم سعد الله، م س ص 449.

²⁸ - د. محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، م س ص 104.

²⁹ - د. عبد الكريم خليقة رئيس مجمع اللغة العبير الأردني، عن مقال الشيخ بالحاج عيسى، مجملة الحياة ص 267.

لم يكن تقسيم الأدوار بين الشيخ بيوض، والشيخ عدون، والشيخ أبو اليقظان، عبثاً أو صدفة بل كانت خطة إستراتيجية محكمة، تجمع بين الإصلاح التربوي والإصلاح الاجتماعي، وتوفير التغطية الإعلامية، وجهود الشيخ بيوض، والشيخ عدون، في التربية وتأسيس المدارس ومعهد الحياة كان إستراتيجية إستشرافية مستقبلية هادفة، ترمي إلى تكوين الأجيال الحاملة لرسالة الإصلاح، فالشباب هم عمدة الأمة، في كل نشاطها، وهم مستقبلها، فبدونهم لا تستمر الأمة، وتنقرض الأجيال الإصلاحية، وتذهب كل الجهود هباء منثوراً، ولهذا كانت خطة المعهد تكوين الخلف، الذي يحمل المشعل، وتخرج جيوش من شباب الإصلاح لشغل المناصب، وهذه الخطة لا يمكن تحقيقها في نظر الشيخ بيوض والشيخ عدون، والشيخ أبي اليقظان، إلا ببناء المدارس والمعاهد، وحث الشعب على التبرع للمشاريع الخيرية، فكونت الجمعيات الخيرية، والنوادي الأدبية، وأفواج الكشافة، وفرق المسرح، والأناشيد، وتنظيم الحملات التطوعية للعمل الميداني، ثم أرسلت البعثات العلمية إلى تونس، والقاهرة ودمشق، وبغداد، وقد فتح المشايخ دورهم كما فتحوا صدورهم للشباب، فسموا معهدهم بمعهد الشباب، وجريدة المعهد سميت كذلك بجريدة الشباب، تيمناً بالأجيال القادمة، وقد كتب الشيخ عدون افتتاحية عددها الأول، من السنة العاشرة 1936م بعنوان الشباب في المرحلة العاشرة³⁰.

ومن الدروس السياسية والاجتماعية، التي صقلت مواهب طلبة المعهد، حلقات دروس الخلاق، فقد نمت فيهم الروح الوطنية وكره الاستعمار وأذنا به، فاكتشف الطلبة دورهم وواجبهم، في الجهاد الوطني، الذي يستقبلهم عندما ينادي المنادي للجهاد المقدس، واندلاع الثورة المباركة، وقد كان الشيخ بيوض يتعمد ترسيخ الأبعاد والوطنية، في كل دروس الأخلاق التي كان يلقيها صبيحة كل خميس، من كتاب عظة الناشئين، كما كان ينتقي من الصحف، والمجلات المصرية الوطنية، التي تصله كل أسبوع، فيختار منها المقالات السياسية، ويطعم بها دروس الأخلاق، فيعلق عليها ويزيدها قوة وروعة، فكان طلبة المعهد يعيشون الأحداث السياسية في مصر، ومن خلالها كل أحداث العالم الإسلامي، فيتقمصون الشخصيات السياسية، متأثرين بمواقفها، وجهادها ضد الاستعمار³¹.

وكانت رقابة الاستعمار العسكري وأذنا به، شديدة على معهد الحياة، وعلى الشيخ بيوض، وعلى القرارة التي أصبحت عاصمة العلم والجهاد الوطني، في جنوب الجزائر، يقول الشيخ محمد علي دبوز: "كثيراً ما نطالع المجلات المصرية، والتونسية، سرا ونغلق أبواب المعهد، ومن تلك المجلات، جريدة الشعلة، وجريدة الصرخة، لجمعية مصر الفتاة، ومجلة الفتح، ومجلة الزهراء، للبطل محب الدين الخطيب، ومجلة المنار لرشيد رضا، ومجلة الرواية، ومجلة الثقافة، لأحمد أمين، ومجلة الهلال، ومجلة المقتطف، ومجلة الإسلام، ونور الإسلام، ومجلة الرسالة

30 - الأستاذ جهلان محمد مجلة الحياة العدد 10 ص 12 وما بعدها.

31 - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر م س ص 78.

لأحمد حسن الزيات، ومنها قرأنا قصائد الشاعر الزيات، ومقالات أحمد أمين ومنها مثلاً مقال: الرجولة في الإسلام، ومقالات مصطفى صادق الرافعي، وعبد الوهاب عزام، وعلي الطنطاوي، وقصائد محمود غنيم، الهائية والعصماء، وقصائد أحمد محرم والزهاوي، وغيرهم وكلها قصائد تتقد نارا، وتشرح مجد الإسلام، وتهز المسلمين للنهوض³²، ورغم أن الاستعمار كان يمنع وصول تلك المجالات للجزائر، إلا أن دخولها عن طريق تونس المستعمرة فرنسيا، وجهل الموظفين الفرنسيين بالعربية، يمنعهم من معرفة مصدر تلك المجالات، وكان المسافرون الميزابيون القادمون من تونس، يحملون معهم تلك الطرود، ويوصلونها إلى المعهد، والطلبة ينتظرون وصول البريد من تونس، بفارغ صبر، ويتفاسمون تلك المجالات فيما بينهم، ويتبارون في تقليدها والاقتراس منها، في تحرير المقالات، ونظم القصائد وتأليف الروايات، وقد يتشبهون ويلقبون بعضهم بأسماء أولئك الأدباء، فمنهم العقاد، ومنهم زكي مبارك، ومنهم الرافعي، ومنها نشأت المعارك الأدبية بين طلبة المعهد، بين أنصار العقاد، وأنصار الرافعي.

ومن أسرار معهد الحياة تلك العلاقة الروحية، الأخوية الحميمية، التي نشأت بين المشايخ والطلبة، أثناء التمدريس وبعد التخرج، مهما طالّت المدة، أو بعدت المسافات، أو اختلفت المهن، والحرف، فهناك سحر المودة والمحبة، والإخلاص، والتعاون والتفاني بين كل طلبة المعهد والمشايخ.

يقول الشيخ بيوض بعد الاستقلال لطلبته: "أبها الشباب المتعلمون، إن الدولة دولتكم، وإن الدور دوركم، وإن اليوم لكم، فبيدكم مقاليد المستقبل، وأنتم أقدر الناس على تحويل اتجاه الأمة إلى حيث تريدون، إنكم الأئمة، والأمة لكم تبع، بل إنكم أنتم الأمة، لو عرفتم أقداركم"³³.

ويعتبر الشيخ عدون المؤسس الحقيقي لجمعية الشباب بلا منازع وقد كانت النادي الأدبي والسياسي الذي يتبارى فيه الطلبة على الخطابة والمقالات السياسية النارية والقصائد الوطنية، التي تستنهض الهمم، وتنبه الغافل وتكشف مكائد الاستعمار وأذنابه، وتحت على الاستعداد للتغيير والثورة، على الظلم والغاصبين، كما كانت جريدة الشباب، التي أسسها الشيخ عدون، منبرا أدبيا، يتفانى فيه الطلبة على المحابر، كتابة ونشرا³⁴.

كان منهج تكوين الأجيال في معهد الحياة، وإرسالهم إلى مختلف ميادين الحياة، جنودا للإصلاح، خطة ومنهج رسمه الشيخ بيوض وسار عليه وزيره الشيخ عدون، فقد كان الشيخ بيوض يوصي طلبته قائلا: "وأريد من كل واحد منكم أن يكون ذا مكانة عند قومه، وذا مقام في المركز الذي يعمل فيه، ويتمتع بثقة تامة لدى معارفه ومعاشريه، وجمهور الناس، حتى يستطيع أن يؤثر فيهم، ويوجههم الوجهة التي يريد، وإن لم يفهموا حقيقة ما يدعوا إليه، فإن الداعي لا

32 - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج3 م س ص 80.

33 - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج03 ط01 المطبعة العربية الجزائر 1969 ص 205.

34 - الشيخ بالحاج عيسى، ثمانون عاما، مقال منشور بمجلة الحياة ن ص 262.

يعتمد أبداً على الإقناع بالحجة والبرهان في كل وقت، وإنما يعتمد أكثر ما يعتمد على الثقة. والثقة والحجة هما الدعامتان القويتان لقيادة الأمة، فإذا حرصتم على هذا مع ما بينكم من الروابط والصلاة، أمكننا أن نقول إننا قد أنشأنا أمة لا جيلاً³⁵.

ومن النصائح الغالية التي كان يرسخها مشايخ معهد الحياة في طلبتهم، أن يتمثل الشباب في قوة التأثير على المحيط الذي يعيشون فيه، قولاً وقُدوةً، وإنارة الزاوية التي يوجد فيها كل شخص³⁶، فالشباب الذي يتحمل المسؤولية في نظر الشيخ بيوض يجب أن يكون قويا في تكوينه، عارفاً أولاً بما ينتظره من العمل، وما يريده منه مجتمعه، عالماً، بحقيقة الصراع الدائر، وما ينتظره من تحديات وعقبات ليتحرك على أساس من كل ذلك، فيغير ما يحتاج إلى تغيير، ويحافظ على الثوابت، وما هو أصلح للمجتمع.

وكان الشيخ يحذر طلبته الشباب من التهور والاندفاع، وراء التغيير من أجل التغيير، مهما كلف ذلك من خراب ودمار، فالحكمة والتروي ومشاورة الكبار ذوو الحنكة والتجربة ضروري لقيادة المجتمع، كما كان يرشدهم ويحذرهم، من التعالي عن الواقع، والانهار بالمثاليات التي يستحيل تطبيقها، أو أن تطبقها تنجر عنه عواقب وخيمة، فيدبرهم على فقه الأولويات، فقول الشيخ ناصحاً طلبته: " فهل أدركتم الآن ما بنا من حاجة شديدة إلى قادة أكفاء، ذوي عقول راجحة، وأفكار واقعية، لا خيالية، لهم بصر بالعواقب ونفاذ إلى أسرار الحوادث، ينقذون الأمة في محنتها، ويهدونها السبيل، ويوجهونها الوجهة الصالحة، فإنها اليوم في مفترق الطرق مشتبهة الأعلام، لا صواري فيها ولا منارات..."³⁷.

وكان الشيخ يذكر طلبة المعهد بوجوب انتزاع القيادة من أيدي الجهلة الأميين، وأغلبهم موالين للاستعمار، الذي ينفذ خططه لبقاء الأمة في جهل وتخلف فيقول: " أيها الشباب المثقفون: لقد آن لكم أن تنتزعوا قيادة الأمة من أيدي الجهلة الأميين، والطلبة الجامدين، فكفانا ما جرت علينا قيادتهم من بلايا ومحن، خمود في الفكر، وجمود في العمل، وأفن في الرأي، وجهل مطبق بأساليب الحياة، ولقد دفعوا بعربة الأمة إلى الهاوية، فتداركوها وروح القدس معكم"³⁸.

ثالثاً: الشيخ عدون الوزير الأول للشيخ بيوض.

يقول الشيخ بيوض معترفاً بمكانة الشيخ عدون: " إن كل ما أنجزته من أعمال في الميدان التربوي والاجتماعي، يعود الفضل فيه إلى الشيخ عدون". وكان الشيخ عدون متميزاً بنكران الذات، فقد كانت شهرة الشيخ بيوض، تغطي جهود وزيره المخلص وصديقه الوفي، وجندي الظل الشيخ عدون، فإذا كان الناس في وادي ميزاب، وخارجه منبهرون بشخصية الزعيم القائد الإمام

35 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، م س ص 19.

36 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، م س ص 18.

37 - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج 3 ط 1، م س ص 204.

38 - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج 3 ط 1، م س ص 204.

الشيخ بيوض، فإن القليل منهم فقط يعرفون الجندي المجهول، الشيخ عدون، الذي رابط معه طوال حياته في الصف الأمامي³⁹.

ولعله من جزاء الله العظيم، للشيخ بيوض، على حسن نيته، وعمله لوجهه الكريم، أن وهب الله له الشيخ عدون، فكان من الطلبة الأوائل، في معهد الشباب، وهو ممن سعى في إنشاء معهد الحياة، بع إلهام كبير على الشيخ بيوض⁴⁰.

كان الشيخ محمد علي دبوز، يقول " الشيخ عدون هبة للشيخ بيوض " فقد كان الشيخ عدون، وزير صدق للشيخ بيوض، في جهاده الإصلاحية، ومشاريعه العلمية والتربوية، لم يتخل عنه ولم يتوان عن نصرته يوماً⁴¹.

ومن أسرار الإنسجام التام، في الآراء والمواقف، بين الشيخ بيوض والشيخ عدون، الإخلاص فقد قال الشيخ عبد الرحمن بكلي عن الشيخ عدون أنه الإخلاص يمشي على رجلين⁴².

وقد استمر الانسجام والتعاون، بين الشيخين بيوض وعدون طول حياتهما، وحتى بعد وفاة الشيخ بيوض، بقي الشيخ عدون وفياً للرسالة والمنهج، فقد كان مشتركاً مع الشيخ بيوض في الخصائص، فمنذ أن كان ناظراً للمعهد، في أطواره الأولى، ومديره المخلص بعد ذلك، وأستاذاً جليلاً من أساتذته، أصبح الشيخ عدون الذراع الأيمن، للشيخ بيوض، في كل جهاده العلمي والإصلاحية، وفي كل مراحل بناء المعهد، وتسييره⁴³.

رابعاً: الشيخ عدون هو المعهد، والمعهد هو الشيخ عدون.

يعرف الناس في وادي ميزاب أن معهد الحياة هو الشيخ عدون، وأن الشيخ عدون هو معهد الحياة، تلازما تلازم الظل للإنسان، وما ذكر أحدهما إلا ورد الآخر على اللسان. وقد كان معهد الحياة أمل الشيخ الأوحدهم المقيم المقعد، فهو عصارة عمره، وروح رسالته، منذ نشأته، إلى يوم وفاته⁴⁴.

كانت الأمة ترى الشيخ عدون، أمة يمشي بين الناس⁴⁵، لمهابتة وتواضعه، والمشروع الذي يحمله. فالالتصاق التام بين الشيخ عدون الرجل، والمعهد المؤسسة، إلى درجة لا تجد فرقاً بين المؤسسة ومديرها، فكل الناس كبيراً وصغيراً، خريج المعهد أو من عامة الناس، يلاحظ هذا التمازج، بين الشيخ عدون ومعهد الحياة⁴⁶.

لم يتطور الشيخ عدون، مع معهد الحياة، من ناظر إلى أستاذ، ومدير فحسب، بل كان معهد الحياة بالنسبة للشيخ عدون هو الدم الذي يسيل في عروقه، والأكسجين الذي يتنفسه،

39 - د. محمد ناصر، مقال منشور بمجلة الحياة، الشيخ عدون الأستاذ المربي، العدد 10 أكتوبر 2006 ص 192.

40 - الشيخ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة ج 2 ص 202.

41 - د. مصطفى باجو، عندما تغيب شمس العلماء ص 02.

42 -

43 - الشيخ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة ج 2 ص 28.

44 - د. مصطفى باجو، عندما تغيب شمس العلماء ص 03.

45 - د. مصطفى باجو، عندما تغيب شمس العلماء ص 01.

46 - الأستاذ الشيخ بالحاج عيسى، ثمانون عاماً، مقال في مجلة الحياة ص 258.

فالشخوخ عدون هو العمود الفقري، لهذه المؤسسة التعليمية، في كل المراحل منذ أن كانت فكرة وطموحا، إلى أن صارت صرحا شامخا، فهو المخطط والمؤسس والراعي والموجه، ماديا وأديبا⁴⁷، ولكن ما جبل عليه الشخوخ عدون، من التواضع، ونكران الذات جعلته يتغاضى عن تقديم كثير من هذه الحقائق، أو هو في أفضل حالاته يذكرها اقتضابا، ويمر عليها سريعا⁴⁸. فالشخوخ عدون هو الوحيد من بين مؤسسي المعهد العتيق، الذي رابط أطول مدة فيه ناظرا و مدرسا ومديرا⁴⁹.

المحور الثاني: الشخوخ عدون و فكره السياسي والوطني .

يمتاز فكر الشخوخ عدون السياسي بأنه فكر شباني متنور، متفتح مسائر للواقع، فقد اشتهرت مقولته، "إننا قد وجدنا حلوًا لعصرنا، فعليكم أنتم أن توجدا حلوًا لعصركم"، وقد أحسن الأستاذ محمد الهادي الحسيني حين وصفه الشخوخ عدون عندما بلغ المائة سنة أنه بلغ العشرين خمس مرات، إن هذا التشبيه أبلغ وصف للفكر الشباني الذي يتمتع به الشخوخ عدون الذي كثيرا ما نلجأ إليه نحن الشباب ليساندنا ويؤيدنا في كثير من التطويرات والتحسينات التي يعرقلها ويرفضها من هم في سن أبنائه أو أحفاده، وقد تكوّن لديه هذا الفكر المتفتح، النير المسائر للتطورات الوطنية، والعالمية، فزيادة على تكوينه ورصيده فهو دائم التواصل مع مصادر المعلومة، من لقاءات، إلى زيارات، ومتابعة لوسائل الإعلام، بكل أنواعها مقروءة ومسموعة ومرئية.

فقد كان الشخوخ عدون مواظب الحضور للقاءات والتجمعات التي تنظم في القرارة وخارجا وحتى في العاصمة فمثلا لا يتخلف عن اللقاء السنوي الذي تنظمه بلدية القرارة مع كل إدارتها ومسؤوليها وأعيان البلد، إثر عيدي الفطر والأضحى، فقد كان الشخوخ عدون حريص على الحضور وكلمته التوجيهية تتمحور دائما حول نواحي غالية، في خدمة الدين والوطن، وتعزيز الوحدة الوطنية، ممثلة في وحدة سكان بلدة القرارة، فيثور على العصبية الممقوتة، والتفرقة البغيضة، ويخاطب الجميع بالمسلمين والجزائريين، حاثا كل أبناء القرارة بالعمل الجاد، في كل ميادين العلم، والعمل الصالح.

و الشخوخ عدون رغم مهامه وانشغالاته الكثيرة لا يتخلف عن حضور الحفلات التي تنظم في مختلف المناسبات الدينية والوطنية، في المساجد ودور الثقافة والساحات العمومية، وحتى ملاعب الرياضة، والأسابيع الثقافية، والمسارح، فحضوره في المنصة أمام الجمهور، يضيء على اللقاء هيبه وإجلال ويلقن الشباب دروسا عملية تطبيقية، في الوطنية والوحدة.

ولمركز الشخوخ عدون الاجتماعي في وادي ميزاب أصبح منزله قبلة لاستقبال الشخصيات الوطنية، من علماء وسياسيين، ورجال الإدارة المحليين، والمركزيين، وبهذا النشاط يرى طلبته

47 - أنظر : شريفي سعيد، معهد الحياة نشأته وتطوره، ص 25 وما بعدها.

48- د. محمد نار، مشايخي كما عرفتهم، ص 302

49- الشخوخ الحاج عيسى، ثمانون عاما، مقال بمجلة الحياة ص 262

التواصل الوطني والحضور الدائم، في النشاط الوطني السياسي، والمشاركة العملية، في مد جسور الوحدة والتواصل مع كل الشخصيات الوطنية، العلمية والسياسية.

ومن تلك الشخصيات: العلماء والشخصيات السياسية الوطنية والوزراء الذين كانوا يزورهم ويزورونه بالجزائر العاصمة، الشيخ أحمد سحنون، والهادي الحسني.

وفي غرداية استقبله رئيس الجمهورية اليمين زروال الذين جلس معه على المنصة الشرفية عند زيارته لولاية غرداية، وأخيرا حظي الشيخ عدون ومن خلاله شهدت القرارة ولأول مرة في تاريخها، زيارة فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة، وهي أول زيارة لرئيس جزائري منذ تأسيس القرارة سنة 1631م وجلس فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة إلى جنب الشيخ عدون، حين وضع الحجر الأساس للمبنى الجديد لمعهد الحياة هذا يوم 07 فيفري 2004م، وقد كانت جلسة تاريخية، رسمت الأهداف التي كان يرمي إليها الشيخ عدون منذ تأسيس معهد الحياة سنة 1925م فكانت رسالة واضحة، في موقع معهد الحياة والشيخ عدون، وأبناء معهد الحياة في الحركة الوطنية والسياسية قديما وحديثا .

أما الزيارات العديد لأغلب ولاية غرداية إن لم أقل كلهم، فهي كثيرة تعبر كلها على رسالة معهد الحياة، في الروح الوطنية، التي يغرسها معهد الحياة، في أبنائه وظل الشيخ عدون يستغل هذه اللقاءات مع الولاة والمسؤولين المحليين، لتقديم طلبات المواطنين في مجالات التنمية عموما، وخصوصا التربية والتعليم، وعلى رأسها مشاغل معهد الحياة، وجمعية الحياة والمؤسسات التابعة لها، وقد أثمرت هذه اللقاءات بمشروع روضة الحياة، الذي يعد خطوة جبارة في تاريخ جمعية الحياة، ودعمه قوية لتمويلها، فرحم الله الشيخ عدون، وتقبل الله مبادرة وزير الفلاحة السعيد بركات، ووالي الولاية آنذاك عبد المالك بوضياف.

أولا : مواقفه من القضايا الوطنية .

كان الشيخ عدون حريصا على متابعة كل الأحداث العالمية والوطنية، من الإذاعات خاصة هنا لندن BBC قديما، ثم القنوات الفضائية حديثا، ومنها قناة الجزيرة، وقد يجرىك عند زيارته بسؤال دقيق، عن خبر وطني أو عالمي تعجز عن الإجابة عنه وقد تجاوز القرن من عمره.

وفي كل الأزمات التي مرت بها الجزائر كان الشيخ عدون يصرح ويدلي برأيه، منتهجا أسلوب التسامح والمصالحة، ونصرة الوحدة الوطنية، فقد قال عنه الشيخ شيبان في جنازته " ... تودّع فيك الجزائر اليوم عميد أئمتها الأعلام علما، وتعلّما، وتربية، وإدارة، وإصلاحا، ودعوة إلى التسامح الديني، والوحدة الوطنية، وجهادا في سبيل الحرية، والكرامة، وقد أنعم الله عليك بباقة من الشمائل جعلتك منارة للعلماء العاملين والصالحين المصلحين، أهمها الإصلاح، والزهد والتواضع، والتضحية والتفاني، في أداء الأمانة"⁵⁰.

ثانيا: الشيخ عدون و قضايا المسلمين .

كان الشيخ عدون حريص على وحدة المسلمين، ويذكر دائما أن حل كل قضايا المسلمين، لا تكون إلا بالتمسك بالدين الحنيف، ولا يتحقق النصر إلا على يد من يحمل راية التوحيد، ويعمل لدين الله أن يسود، وما سوى ذلك محاولات بائسة فاشلة⁵¹، فقد كانت قضية فلسطين من أبرز همومه وانشغالاته، ويرى أن غطرسة وتحدي إسرائيل، جاءت بتفرق العرب والمسلمين، وضعف قادتهم وحكامهم الذين ابتعدوا عن تعاليم الدين الإسلامي، ونصرة قضاياهم وارتتموا في أحضان المعسكرات الغربية والشرقية.

ثالثا : علاقة الشيخ عدون بالطلبة المتخرجين من المعهد .

لقد نشأت بن طلبة المعهد وأساتذته محبة وعلاقة روحية قوية، تستمر حتى بعد التخرج من المعهد، وسر ذلك يرجع إلى تواضع المشايخ، وتعاملهم مع أبنائهم الروحيين الطلبة، كأبنائهم الصليبيين، فهذا الشيخ بيوض يخاطب طلبته في المعهد قائلا: " أبنائي الأعزاء: إن سروري أكثر من كل سرور يمكنه بعضكم لبعض، والحب الشديد الذي يربط بينكم، وإني لأعزو ذلك إلى أثر حبي الذي أضفيته عليكم، وأعزو إليه كل ما يستقبلكم من فوز ونجاح.

إن هذا الحب وهذه الصداقة بين أبنائي من أعظم ما أفخر به، ومن أقوى الدعائم التي أبني عليها آمالي في مستقبلهم " ⁵².

وبنفس النبرة والإحساس يعبر الشيخ عدون، بحبه الشديد لطلبته قائلا: " إنه ليسرني أن تتوالي الرسائل والهدايا بينهم في مختلف المناسبات، ويسرني تعلق بعضهم ببعض، حتى إذا رأى أحدهم زميله هش له وبش كأنه رأى شقيقه، ابن أمه وأبيه، وهما شقيقان ! إن لهذه المحبة أثر كبير في تزكية النفوس ، وتطهير الضمائر، إن لها لأثرا بليغا في سعادة الأفراد والجماعات، إنها لا تترك في النفس ضغينة ولا حقدًا ولا حسدا.

إنه ليسرني أن أرى قلوبكم قد أُشربت هذا الحب المكين، ونفوسكم قد أشعرت بهذه العاطفة النبيلة، لا يتنافس أحد على أخيه شهرة ينالها، ولا يحسده على مكانة يتبوؤها، بل يرى ذلك عزا ومفخرة له، فيزداد حبا ويباهي به الناس ، ثم يتعاونون معه في صفاء ووفاء على خدمة الأمة " ⁵³

استمر الشيخ عدون الأب الروحي لطلبة المعهد، دائم السؤال عن أحوال طلبته، خريجو معهد الحياة ففي أية جلسة حضر، أو أي مدينة حل، إلا وبدأ بالسؤال عن طلبة المعهد، أين وصلوا في متابعة دراساتهم الجامعية، أو إعداد أطروحاتهم، أو مشاريعهم العلمية، أو العملية فكان يبارك ويشجع ويوجه. ويتجشم الصعاب لحضور أعراس مناقشة طلبة المعهد، لأطروحاتهم الجامعية، ماجستير ودكتوراه، فتراه يدخل الجامعات في قسنطينة وباتنة والجزائر العاصمة، يتابع باهتمام بالغ مناقشة الطالب ويطير فرحا عندما تعلن نتائج النجاح، وتبادل التهاني، ثم يسهر مع المشجعين والمهنتيين، في الحفلات التكريمية التي تقام لطلبته، بمناسبة نجاحهم .

⁵¹ - د. مصطفى باجو، عندما تغيب شمس العلماء، ص 16.

⁵² - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 03، ص 196.

⁵³ - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 03، ص 196.

وقد كانت نشوة الشيخ عدون عظيمة، لا توصف وهو يجني نجاحات أبنائه الطلبة المتخرجين، من معهد الحياة وقد يصرح بذلك ويقول: "إنني أجد في نفسي انشراحا وارتياحا لا يوصفان إذا رأيتمكم في سلم النجاح ترتقون وللناس فيما يعشقون مذاهب، ومذهبي في العشق، نجاحكم وسعادتكم، لا يستقر بي قرار ولا يطيب لي مقعد، إلا مقعدي أمامكم، أستمطر عليكم سحائب فكري، لإخصاب أرضكم وانتعاشها..."⁵⁴.

وكانت علاقة الشيخ عدون بطلبته خريجو معهد الحياة علاقة الوالد الرءوف والأم الرءوم بأبنائها، يُعنى ويسأل عن أحوالهم، ويسعى لحل مشكلاتهم ويمدهم بالعون الأدبي والمادي، لتجاوز عقبات التحصيل، في مختلف مراحل الدراسة كي يواصلوا مساهمهم حتى يبلغوا غاياتهم وينالوا أعلى الدرجات⁵⁵، وكم كان يرسل طلبته المتخرجين من المعهد، برسائل يرصعها بقوله..ولدي العزيز، أو.. من والدكم عدون بالحاج⁵⁶، ولذلك شاع لدى كل الطلبة والأساتذة والمثقفين، في وادي ميزاب بتسمية الشيخ عدون بالأب الروحي، ويرد عليهم بقوله. أبنائي الأعزاء.

57

كما كان لا يغفل أبدا عن تهنئة طلبته، بأي نجاح حققه أو فوز أحرزه، في مناقشة أطروحة أو تأليف كتاب، أو نشر مقال، وكان يعتبر ذلك النجاح هو نجاح للحركة وللمعهد، فيقول مثلا مهنئا أحد طلبته، عند حصوله على شهادة الدكتوراه، "نهنتك ونهنت أنفسنا بإحرازك على شهادة دكتوراه الدولة، التي لم تتشرف بها وحدك وإنما تشرفنا بها جميعا، نحن أسرة التعليم عامة وأسرة المعهد خاصة..."⁵⁸.

ويقابل هذا الشعور وهذه العلاقة الروحية من مشايخ المعهد إلى طلبتهم حب روعي كذلك، متبادل من الطلبة نحو معيهم، ومشايخهم، فكل الذين تخرجوا من هذه المؤسسة العلمية العظيمة، من لدن تأسيسها سنة 1925م حتى يومنا هذا، يعترفون بالآثار الروحية، والمعنوية، الأصيلة التي تركتها في أعماق نفوسهم، شخصية أستاذهم، الشيخ عدون المهيبه إخلاصا وورعا وتفانيا وتضحية وحبًا وغراما بالعربية لغة القرآن والدين الإسلامي الحنيف⁵⁹.

المحور الثالث : طلبة معهد الحياة في الحركة الوطنية و السياسية .

أولا : قديما .

معهد الحياة امتداد للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان مشايخ معهد الحياة لا يفوتون أية فرصة لزرع الروح الوطنية، وحب الاستقلال والحرية ونبذ

54 - الشيخ عدون ، جريدة الشباب ، مقال نشر بتاريخ 14 شعبان 1445 هـ الموافق لـ 17 فيفري 1927.

55 - د. باجو مصطفى عندما تغيب شمس العلماء م س و 05.

56 - د. محمد ناصر ، مشايخي كما عرفتهم، م س ص 370.

57 - د. محمد ناصر ، مشايخي كما عرفتهم م س ص 314.

58 - د. محمد ناصر ، مشايخي كما عرفتهم، ص 375.

59 - د. محمد ناصر ، مشايخي كما عرفتهم، ص 302.

الاستعمار، فمن هذه المدرسة تخرج تلاميذ نبغاء بارعون في كل المجالات، وتقلدوا مناصب سامية، في كل ميادين الحياة الوطنية والسياسية.

ويصف الشيخ عدون نعمة الله على المعهد، حين يرى تخرج دفعات عديدة من طلبة المعهد، وقد انتشروا في كل الميادين، على المستوى الوطني، فيقول: "وقد انعم الله على مؤسسي ومسيري هذا المعهد أن يروا أبناءهم الروحيين، من ثمار هذه الدوحة الطيبة المباركة، منبثين على مراكز قيادة الأمة هنا وهناك، داخل القرارة العزيزة وخارجها، وداخل الوادي الأمين وخارجه، وداخل الجزائر الحبيبة، وخارجها، في المساجد، والمنتديات، وفي المدارس والثانويات، وفي المعاهد والجامعات، كما يشغلون مختلف ميادين الحياة، من اجتماعية واقتصادية وإدارية وسياسية، ولهم في جميع هذه الميادين مقامات معلومة، ومراكز ممتازة"⁶⁰.

انتشر خريجو معهد الحياة، في كل مدن الجزائر، في ميادين التجارة، وخاصة تجارة الجملة فكسروا احتكار اليهود لها، والصناعة، والعمل الاجتماعي، وكذا المناصب الإدارية، والقضائية، والسياسية، وكانوا أكبر نصير للحركة الوطنية الرشيدة، في الشمال، وفي ميدان التعليم الحر والرسامي، في المتوسطات والثانويات، والجامعات كان لطلبة المعهد الباع الطويل، فقد ساندوا حركة التعريب وجزارة الثانويات، والجامعات، للتكوين العربي الإسلامي الذي تلقوه في معهد الحياة⁶¹.

ومن ثمار معهد الحياة، التي أفادت الجزائر والعالم العربي، تخرج نخبة من المثقفين توزعوا في مدن القطر الجزائري وخارجه، لنشر هذا النور في أوساطهم، وتحركوا في كل الميادين، تدفعهم وصايا الشيخ عدون ومشايخ المعهد، ليعم خيرهم كل المسلمين ومن وصايا الشيخ بيوض لأحد تلاميذه "أنر البقعة التي أنت فيها"⁶² وبهذه الوصايا نجح معهد الحياة، في تخرج آلاف الطلبة، وبثهم في أرجاء القطر الجزائري، والعالم الإسلامي والعربي، يبلغون الأمانة، ويجاهدون في سبيل الدعوة، وكلهم يحمل في قلبه، ختما كتب عليه اسم "شريفي"⁶³

و سطعت نجوم خريجي من معهد الحياة، فكانوا شموسا حيثما حلوا أو ارتحلوا، تضيء الدرب لكل أفراد المجتمع، ويتميز طلبة المعهد بسلوكهم، وأريحياتهم، وحسهم الوطني الاجتماعي، وتفانيهم وتضحياتهم، أينما حلوا، وما زال معهد الحياة شامخا في سماء العلم، والثقافة الأصيلة، يمد الجزائر والأمة الإسلامية، بأجيال من الهداة والدعاة، الراشدين المرشدين، تشهد لهم المنابر والمجامع، ومدرجات الجامعات⁶⁴، وقد كان المعهد في تكوينهم حريص على التمييز الأخلاقي، قبل

60 - سعيد شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره، م س ص 86.

61 - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، مس ص 186.

62 - د. باجو مصطفى، عندما تغيب شمس العلماء م س و 12.

63 - د. محمد ناصر، مشايخي كما عرفتهم، م س ص 306.

64 - د. باجو مصطفى م س و 04.

التحصيل العلمي، فقد يهون رسوب أحد الطلبة، في الامتحان، ولا يقبل أبدا الرسوب في السلوك والأخلاق، لأن ذلك هو الويال والهم والهوان⁶⁵.

1. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قال الأستاذ الهادي الحسني: " كانت بداية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي جمع الله بها ما تفرق، ورتق بها ما تفتق، وعلم بها من جهل وما جهل، وأنشر بها ما قبر، وأخرج بها ما طمر، وأظهر بها ما ستر، وردم بها ما حفر، وأتت في أعوام قلائل، بما لم تستطعه الأوائل، خير جمعية أخرجت للناس " ⁶⁶، إن جمعية كهذه حضر الشيخ بيوض في تأسيسها، ووضع قانونها الأساسي، وكان عضوا في إدارتها، قبل أن يخلفه الشيخ أبو اليقظان، ثم يحضر الشيخ عدون، حفل تأسيسها بنادي الترقى بالعاصمة⁶⁷، هذه الجمعية التي أصبحت الواجهة الموحدة لجهود المصلحين في الجزائر، إلتف حولها أساتذة معهد الحياة، فأصبحوا قدوة لكل طلبة المعهد، فانضموا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في كل فروعها بالعاصمة و قسنطينة وأصبحوا من ابرز أعضائها، نذكر منهم الشيخ بيوض، والشيخ أبو اليقظان، والشيخ عدون، والشيخ عبد الرحمن بكلي، ولعساكر باحمد، وحمو عيسى النوري⁶⁸، ودود صالح رئيس شعبة جمعية العلماء اليوم بولاية غرداية، فطلبة المعهد ناصروا كل الحركات الوطنية، من جمعية العلماء، إلى حزب أحباب البيان، وحزب الشعب⁶⁹. واعترافا بفضل الشيخ عدون وإخلاصه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد انتهت إليه الرئاسة الشرفية للجمعية بعد وفاة الشيخ سحنون⁷⁰، تحت إشراف الشيخ عبد الرحمن شيبان.

2. في الحركة الوطنية والأحزاب السياسية .

وجد طلبة معهد الحياة مبتغاهم للنشاط السياسي في تونس حيث تنفسوا نسيم حرية الصحافة، وحرية الأحزاب السياسية، فكانت البعثة العلمية الميزابية، في عهد الشيخ أبي اليقظان، معقلا للوطنية و مدرسة للنضال السياسي، ويصفها الشاعر صالح خباشة:

يا بعثة انشدي وهزي العلماء أنشودة النضال واحرسي الحما

في تونس ارتقي العلوم سلما نرقي بقطرنا الجزائري في السما

و الاستعداد للجهد الوطني، وقد بدأ ذلك بالانخراط في حزب الدستوري التونسي، و حيث انخرط أعضاء البعثة بقوة وجماعيا في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية، ونشطوا ضمن صفوفها، نشاطا سياسيا بارزا، وتقلدوا فيها المناصب، والمسؤوليات، فعلى سبيل المثال كان رئيس ناحية الطلبة في جبهة التحرير، هو الأستاذ محمد بن عمر لعساكر، ومسؤول عن شؤون

65 - د. باجو صالح، م س و 04.

66 - الأستاذ محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر ص 262.

67 - حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر المجلد 01 ص 380.

68 - نفس المرجع والصفحة.

69 - محمد علي دبوز،

70 - د. محمد ناصر، مشايخي كما عرفتهم، ص 300.

الطلبة الجزائريين في وزارة التربية، في الحكومة المؤقتة الجزائرية بتونس، بمساعدة الأستاذ خباشة صالح، وأصبح كل طلبة البعثة أعضاء في إتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في تونس⁷¹، فقد لبي طلبة البعثة، نداء جبهة التحرير باسم إتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين للتجنيد، فالتحقوا بمراكز التجنيد العسكري، والتكوين السياسي بالكاف، وساقية سيدي يوسف وغيرها، فقد استجابت نخبة من طلبة البعثة الميزابية، وكان من أبرزهم الطالب بكير باهون خريج معهد الحياة، الذي قضى فترته التدريبية وأبدى فيها كفاءة ومقدرة، فعين بدوره ضابطا مدربا في نفس المركز الكاف، فخرج أفواجا من الجنود والضباط⁷².

وقد أبرز طلبة المعهد جهادهم الوطني والسياسي، في الصحف الوطنية، وكان من أبرز كتاب المقالات على أعمدها، الشيخ أبو اليقظان بتوقيع "أنا"، والشيخ بيوض بتوقيع "افلح"، وعبد الرحمن بن عمر باكلي بتوقيع "عبد الرحمن"، والشيخ عدون بتوقيع "عدون"، وقد تناولت مقالاتهم مناهضة السياسة الاستعمارية، والحكم العسكري في الجنوب، والتجنيد الإجباري، والتمثيل النيابي في المجلس الجزائري، والتجنيس، وقضايا الوطن العربي والإسلامي، والصهيونية، وقضية فلسطين⁷³.

كما كان لطلبة معهد الحياة، دور بارز في تأسيس الكشافة الإسلامية الجزائرية، إبان الثورة ومن أبرز قادتها الشهيد قاسم بابكر خريج معهد الحياة، الذي استشهد في حادث سيارة، في طريق عودته من أول مؤتمر، تعقده قيادة الكشافة، بعد الاستقلال، ومثله الأستاذ أيوب سماوي خريج معهد الحياة، الذي كان من المؤسسين لهذه المنظمة، في المهجر بتونس⁷⁴، وعندما تأسست المنظمات الرياضية، للشباب الجزائري المغترب في تونس، تحت إشراف المجلس الأعلى للشباب والرياضة، انتدب رئيس البعثة الميزابية، الأستاذ أيوب سماوي، عضوا بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة التونسي، فقام ضمن وفد رسمي تونسي، بجولة عبر أقطار أوروبا الشرقية، وبعض الدول الصديقة، والشقيقة للتعريف بالثورة الجزائرية، كما كان سماوي أيوب من المرافقين الإداريين، والمنظمين الساهرين، على نجاح الفريق الوطني الجزائري، لكرة القدم لما قام بجولته التاريخية، عبر القارات، وقد أجرى فيها ما يزيد عن ثمانين مباراة⁷⁵.

3. في الثورة التحريرية.

كان الزعيم الشيخ بيوض، ووزيره الشيخ عدون، من جنود الخفاء للثورة التحريرية، فقد تخرجت على أيديهما أجيال من المجاهدين، والمسبلين، غرسا في نفوسهم حب الوطن والإخلاص للمبادئ والتفاني في الجهاد، من أجل الكرامة والاستقلال⁷⁶.

71 - الشيخ محمد علي ديبوز، أعلام الإصلاح ج3 م 3 ص 273.

72 - الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، ص 223.

73 - د. محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني ص 239 و275.

74 - الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، ص 223.

75 - الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، ص 224.

76 - توضيح من المجاهد با سليمان لمنور إلى مديرية المجاهدين غرداية بتاريخ 09/أكتوبر 1986. ورقة 02

ويزكي هذه الشهادة السيد ابن يوسف بن خدة، بقوله في تصريحه، بتاريخ 09 مارس 1987: " إن الشيخ بيوض إبراهيم، قد وضع نفسه رهن إشارة جبهة التحرير الوطني، طوال الحرب التحريرية " ⁷⁷.

وقد كان الزعيم الشيخ بيوض، ومن حوله من مشايخ وطلبة، يشكلون خطرا على تواجد العدو الفرنسي، على أرض الوطن، كما صرح بذلك الحاكم العام لمنطقة غرداية، سنة 1950م عن الوضعية السياسية، بالمنطقة حيث قال: " إن الوضعية السياسية، قلقة مضطربة بتأثير الحركة الوطنية الإصلاحية، التي يتزعمها الشيخ بيوض " ⁷⁸.

وقد تعرضت القرارة لحصار عسكري، ثلاثة أيام بلياليها، يوم 28 أكتوبر 1961م بـ 1300 عسكري و1000 حركي و300 من المرتزقة، وكان الهدف من الحصار إرهاب الشيخ بيوض وتلاميذه، وتفتيش منزله، ومكتبه، فقد اقتحم منزله نحو ثلاثين من الحركيين، مما اضطره إلى حرق كل الوثائق، التي كانت بحوزته ⁷⁹، وقد قام طلبة معهد الحياة، بدور جبار لاحتضان الثورة بالقرارة من استقبال الجنود، وإيواءهم في منازلهم، بالقصر أو بالواحة، مثل منازل حمدي بابا عمر بن قاسم، ودار بوحجام عيسى في الغابة، ودار حمو لقمان، أو في دور العشائر، مثل عشيرة آل كاسي بن الناصر، كما جمعوا الأسلحة، من المواطنين وقدموها للثوار، الذين كانوا يترددون كثيرا على القرارة، ونذكر منهم الملازم رباح لخضر، وأحمد طالي، ورشيد الصايم، والسعيد اعبادو، ومن الطلبة من ساهم بكتابة المقالات، والاتصال، والدعاية، ومنهم تبرع بماله للتمويل، أو سخر سيارته أو شاحنته للتنقل، من مركز إلى آخر، ومنهم من سخر دكانه، أو مسكنه لإيواء المجاهدين، وإخفاءهم، ومداواتهم، ومنهم من استعمل في ميادين المعركة، لحنكته السياسية ⁸⁰، وكلهم تحت الإشراف المباشر للشيخ بيوض.

بعد اللقاءات التاريخية، التي جمعت الشيخ بيوض، وقادة الثورة في كل من باتنة، وسطيف، والعاصمة مع رباح لخضر، في صائفة 1955م، حيث أعطى الشيخ بيوض الضوء الأخضر لكل طلبته، وكل

77 - د.محمد ناصر بوحجام ، الشيخ بيوض والعمل السياسي، م س ص 07.

78 - د.محمد ناصر بوحجام ، الشيخ بيوض والعمل السياسي، م س ص 07. أنظر التقرير الولائي لمجاهدي غرداية سنة 1986، ص 57.

79 - حمو عيسى النوري دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، المجلد 04 ص 68.

80 - الأستاذ مسعودي محمد ، كتاب أبطال من الثورة التحريرية ، الأسبوع الثقافي العاشر 1986 المقدمة.

الميزابيين للعمل الثوري، وتقديم يد المساعدة، لكل المجاهدين، في
جهة التحرير الوطني⁸¹.

ورغم قصر عمر معهد الحياة منذ تأسيسه، في 1925م إلى اندلاع
الثورة التحريرية، في أول نوفمبر 1954م فقد كان أغلب طلبة معهد
الحياة، في الخمسينيات، يواصلون دراستهم في تونس، ومع ذلك
فقد التحق الكثير منهم بصفوف جهة التحرير الوطني ضباطا،
ومجاهدين ومسبلين، وفدائيين عسكريين، ومدنيين، فقد كانوا
جنودا مخلصين، في ساحات القتال أو في دكاكين التجارة، التي
أصبحت مستودعات لأسرارها، وأموالها، وبريدها، وملتقى ومخبأ
لضباطها، وهي أعمال جليلة قد تكون أجلى وأخطر من حمل
السلاح، لأن فشل الثورات يكون بالخيانة وكشف أسرارها، والكثير
من طلبة المعهد كان يقوم بالعمل الثوري الوطني، لوجه الله، دون
طلب عضوية، أو بطاقة اعتراف، أو منافع مادية، ومصالح دنيوية،
فكانت دكاكين الميزابيين والكثير منهم، من خريجي معهد الحياة،
يعملون في صمت وإخلاص، ودهاء وتمويه، للاستعمار، فأصبحت
دكاكينهم، التي تتوسط الأحياء الأوروبية، في العاصمة، وقسنطينة،
وباتنة، أحسن مراكز دعم الثورة، وتمويلها⁸²، وقد أحصيت أكثر
من 20 مجاهدا، ممن أكملوا ملفاتهم، وتحصلوا على بطاقات
المجاهدين، في وقت عزف الكثير منهم، عن تكون الملف، أو حيازة
بطاقة الجهاد، معتبرا أن الجهاد في سبيل الله والوطن، لا يحتاج إلى
بطاقة، لإثباته، فالعمل كان لوجه الله تعالى، بعيدا عن أية مصالح،

81 - حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، المجلد 04 ص 70.

82 - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج 03 م س ص 182.

أو مكاسب، يتسابق عليها حتى الذين كانوا خونة للثورة . وبعد الاستقلال، شمرّ طلبة المعهد عن سواعدهم للعمل، والاعتماد على النفس، دون الجري وراء المناصب، والوظائف الحكومية، وأذكر من طلبة المعهد على سبيل المثال لا الحصر: المجاهد باهون بكير بن محمد، ضابط عسكري، والمجاهد بسيس قاسم بن الحاج سعيد، والمجاهد سليمان بوعصبانة لقمان حمو بن عمر⁸³، والمجاهد أوجانه بابه بن بهون، و المجاهد سليمان بوعصبانة محمد بن يحيى، و المجاهد الشيخ دحمان سعيد بن عبد الله، والمجاهد العايب محمد بن بالحاج الشيخ الراعي، و المجاهد الخرفي صالح بن صالح والمجاهد الزيت محمد، و القائمة طويلة.

ثانيا : حديثا

1. في المجال السياسي.

أ. أبناء المعهد مناضلون في حزب جبهة التحرير الوطني:

يعتبر الشيخ عدون، أحد مؤسسي معهد الحياة بالقرارة، ولا نعد مبالغين، إذا قلنا إن فضيلة هو العمود الفقري، لمعهد الحياة، في كل مراحلها التي مر بها منذ أن كان فكرة في الأذهان، إلى آخر لحظات حياته، فهو المخطط، وهو الراعي، والموجه، والمنفذ ماديا، وأديبا⁸⁴. ومعهد الحياة، الذي تخرج منه أدباء، ومرشدون، ورجال تحملوا المسؤولية، على مختلف المستويات، في الدولة الجزائرية وخارجا⁸⁵، وكلهم يعترفون بالآثار الروحية، والمعنوية الأصيلة، التي تركتها في أعماق نفوسهم، شخصية أستاذهم، الشيخ عدون المهيبة، إخلاصا

83 - محمد سليمان أبو العلاء ، الحكيم لقمان حمو حياته وأثاره ، ص 56.

84 - د.محمد ناصر ، مقدمة معهد الحياة نشأته وتطوره، ص 06.

85 - عمر إسماعيل آل حكيم، مقابلة مع شاهد القرن، ص 10.

وورعا، وتفانيا وتضحية، وحباً وغراماً، للغة العربية والدين الإسلامي⁸⁶.

برز دور طلبة معهد الحياة في العمل السياسي، منذ انخراطهم في شبيبة جبهة التحرير الوطني، ثم النضال في قسّمات حزب جبهة التحرير الوطني، فقد كان الشيخ عدون الصارم في رقابة تأخر وتخلّف الطلبة يتسامح مع الطلب الذين يبررون غيابهم بحضور نشاطات الحزب في قسمة القرارة، وحضور اللقاء الهامة، ورغم المضايقات الكثيرة التي تلقاها أساتذة وطلبة معهد الحياة، في قسمة القرارة إلا أنهم تركوا بصماتهم في خلايا الحزب وقسمة القرارة من كتاب المحاضر والتقارير السياسية، ونذكر على سبيل المثال المناضل الحاج مسعود محمد، والمناضل بوقرينات معطى الله والمناضل بن الشيخ أحمد والمناضل سليمانى بوعصبانة عمر والمناضل الشيخ بالحاج أحمد باش عادل، والمناضل ناصر بوحجام محمد بن قاسم، وسعيدى عمر بن قاسم والقائمة طويلة.

أما رؤساء المنظمات الجماهيرية فنذكر منهم الشيخ بالحاج يحيى بن محمد الإتحاد الوطنى للشبيبة ثم أوجانة احمد بن بابه وفي إتحاد الفلاحين الجزائريين و باي أحمد خرناش موسى بن بكير، ثم حمدي احمد بن محمد، واتحاد التجار فخار إبراهيم بن حمو، والإتحاد الوطنى للفلاحين الجزائريين الأحرار اوجانه بابه بن بهون.

ب : في المجالس المنتخبة والبرلمان.

أولاً: أعضاء رؤساء البلديات:

تخرج طلبة معهد الحياة فكانوا رجالا في الميدان منحهم الشعب ثقته فتولى الكثير منهم عضوية المجالس البلدية لا يسع المجال لذكرهم ونقتصر على بعض رؤساء البلديات على مستوى بلديات ولاية غرداية منهم: المجاهد سليمان بوعصبانة لقمان حمو بن عمر أول رئيس بلدية للقرارة بعد الاستقلال، والمجاهد بسيس قاسم بن الحاج سعيد ثاني رئيس بلدية القرارة والأستاذ علي بيوض، والأستاذ الشيخ بالحاج أحمد رئيس بلدية القرارة لعهدتين، والأستاذ حني بكير ببلدية غرداية..

ثانيا: أعضاء ورؤساء المجالس الشعبية الولائية:

وفي عضوية ورئاسة المجلس الشعبي الولائي بالأغواط وبغرداية، كذلك نجد الكثير من طلبة معهد الحياة نذكر منهم رؤساء المجلس، الأستاذ الحاج مسعود محمد، والأستاذ حني بكير، والأستاذ فخار محمد بن عيسى رئيس المجلس الشعبي الولائي لعهدتين.

ثالثا: أعضاء البرلمان:

وفي عضوية البرلمان أسوة بالزعيم الشيخ بيوض الذي ترشح وفاز بعضوية المجلس الجزائري سنة 1948م الذي قبل الترشح بعد إلحاح أهل ميزاب وأقنعوه بقبول هذه المنصب وقال : "...وفي تلك الظروف قررت أن أرشح نفسي لذلك المجلس بدافع وطني، وبتحريض من أغلبية سكان الوادي الذين أعلنوا أنهم لا يريدون العزلة والانفصال، وأنهم يرتبطون بالشمال...."⁸⁷ ولم يكن يبتغي من منصب البرلمان جاها ولا منفعة خاصة فهو يرى أن النيابة تعني العمل

⁸⁷ د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، م س ص 59.

والتضحية من اجل الوطن فيقول : " ليس للقب النائب عندي قيمة إلا بقدر ما أجلب لقومي من خير، وأدفع عنهم من ضرر، لا يهمني أن أبرز في المجلس في غير ما يتصل بقومي ووطني الجزائر، وأني لأنفع أمتي بهذا اللقب خارج المجلس كذلك، فإن الحامل للقب النائب تفتح في وجهه أبواب كانت موصدة، وتصغي إليه آذان كانت تتصامم، إنني أعدكم أنني لا انتفع بهذا اللقب لشصي، إلا بقدر ما يعينني على أداء مهمتي"⁸⁸، وبعد الشيخ بيوض نجد كذلك من طلبة المعهد من منحه الشعب ثقته ليتبوأ منصبا تحت قبة البرلمان، ونذكر منهم: الدكتور فخار إبراهيم عضو مجلس الأمة، والأستاذ فخار محمد بن عيسى عضو مجلس الأمة، والدكتور أبوبكر صالح عضو المجلس الشعبي الوطني لعهدتين، والدكتور زكريا محمد عضو مجلس الأمة ضمن الثلث الرئاسي.

2. في المجال التربوي:

أ. طلبة معهد الحياة أساتذة في معهد الحياة:

من أعظم نعم معهد الحياة، في تطوير ومواصلة نهضته، أنه اعتمد على نفسه في تكوين الأجيال واستمرارية رسالته التعليمية، فبدأ في البداية معتمدا على جهود الشيخ بيوض، ومساعدة الشيخ عدون، في تقديم معظم دروس حلقات المعهد، ثم احتاج إلى كبار الطلبة الذين استعان بهم المعهد للتدريس، ثم كان للطلبة المتخرجين من تونس والقااهرة الأثر الكبير في تطوير برامج ومناهج معهد الحياة، ونذكر منهم المؤرخ الشيخ محمد علي دبوز، والفقيه الشيخ الناصر المر

⁸⁸ د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي م س ص 60.

موري، والشيخ بالحاج محمد بن بابه، والأديب صالح باجو والشيخ بالحاج بكير والشيخ تاعموت إبراهيم وغيرهم كثير.

ب. طلبة معهد الحياة أساتذة في الثانويات:

انتشر طلبة معهد الحياة في الكثير من الثانويات على المستوى الوطني، وقد امتازوا بالتكوين الأصيل في اللغة العربية وعلومها المختلفة فأفادوا جهود الدولة في تعريب الثانويات، وتخرجت على أيديهم أجيال وأجيال من الطلبة والطالبات وكلهم يقرون بإخلاص أساتذتهم وتفانيهم في التربية والأخلاق ثم التعليم.

ج: طلبة معهد الحياة مديري الثانويات:

و من طلبة المعهد الذين تحملوا مسؤولية مديري ثانويات أحصيت أكثر من، خمسة عشر مديرا للثانويات في مختلف ولايات الوطن، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الأستاذ سليمان بوعصبانة عمر، والأستاذ بيوض عمر، والأستاذ خياط محمد، والطالب باحمد أحمد، وعلواني عمر، وارشوم محمد، وبازين صالح، والشيخ بالحاج بكير، و دجال سعيد، و الحاج عيسى عمر، و بسيس فاروق، و بن عمور أمحمد، والحاج مسعود محمد، و بيوض علي والقائمة طويلة.

و كذا مديري المعاهد التكنولوجية نذكر الأستاذ الوارث أحمد

بن زكري مدير المعهد التكنولوجي بالمدية.

د. طلبة معهد الحياة دكاترة في الجامعات:

العديد من طلبة معهد الحياة، واصلوا دراساتهم العليا فتحصلوا على شهادات الماجستير، والدكتوراه، بتقديرات مشرفة جدا وأصبحوا أساتذة في مختلف جامعات الوطن، وخارجها، وقد أحصيت عشرات الدكتوراة والأساتذة، في كليات الأدب والعلوم الإسلامية والحقوق، والاقتصاد، والتاريخ وعلم النفس، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور محمد ناصر، و الدكتور الخرفي صالح و الدكتور محمد ناصر بوحجام و الدكتور عيسى وموسى محمد و الدكتور لعساكر محمد الدكتور مصطفى باجو الأستاذ شريفي بالحاج، الدكتور سليمانى بوعصبانة عمر لقمان، والدكتور التلي بن الشيخ وغيرهم كثير.

هـ: طلبة معهد الحياة مفتشي التربية:

و من طلبة معهد الحياة الذين تولوا مناصب في التفتيش نذكر الأستاذ أحمد مردوخ إبراهيم مفتش عام التربية الفنية والأستاذ بيوض علي، مفتش إداري بوزارة التربية، والأستاذ باعوشي الناصر مفتش ثانوي والأستاذ داودي عمر، وغيرهم كثير لا يتسع المجال لحصرهم.

3. في المجال الإداري.

طلبة معهد الحياة إطارات للدولة الجزائرية .

تخرج من معهد الحياة، طلبة مثقفون، وواعون بمسؤولياتهم الوطنية، متمثلين نصائح مشايخهم، الذين أوصوهم بقولهم، نحن

واثقون بالنجاح، والنصر النهائي، وسنصلح كل مجلس، وندخل في كل محكمة، ونتبوا كل منصب، ونقضي على كل فساد، فيعم الإصلاح جميع الهيئات والمؤسسات، وهذه عهد قطعناها على أنفسنا، وسنحققها في القريب بإذن الله، لا يصدنا عن غايتنا المتمسكون بمناصبهم، والمشرفون عليها...⁸⁹.

معهد الحياة مشتله لتكوين إطارات تسيير المجتمع، وقادة الأمة، فمن وصايا الشيخ بيوض لطلبة المعهد، عدم الجري وراء المناصب، والمسؤوليات، من أجل السيادة والاعتزاز بحب المسؤولية، والتسابق على الكراسي وامتيازاتها، ومن جهة أخرى كان الشيخ، يوصي طلبته بعدم الفرار من الزحف، وترك المجال فارغا، ليستحوذ على المناصب من هو ليس أهلا لها، فيقول: " لا تكن غايتكم أن تسودوا، ولا أن تتصدروا، وإنما عليكم أن تعملوا الخير، لأنه خير وكفى، فإذا حملتم على صدارة، أو رئاسة، أو سيادة، فلا تدفعوها فرارا من المسؤولية، إن استشعرتكم الكفاءة، بل أقدموا غير هيابين، ولا وكلين " ⁹⁰

ويؤكد الشيخ لطلبته، ضرورة تولي المسؤولية، وعدم ترك المجال فارغا، يتزاحم عليه غير المؤهلين، فيقول: " كونوا أقوياء صناديد، تمثلون قوة الإسلام، وتجسدون روحه، حتى لا تُسيئوا إليه، فالإسلام قوي، والمؤمنون أقوياء، فكونوا كذلك " ⁹¹ فالشيخ يريد من طلبته احتلال المواقع، حتى لا يتزاحم عليها من يسيء إلى الأمة، وتولي المناصب من طرف الشباب المثقف الواعي، لزعزعة الجامدين، والأميين

89 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي م س ص 16.

90 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي م س ص 20.

91 - د. محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي م س ص 20.

المتخلفين، الذين أضروا بالأمة كثيرا، وقد كان هذا من أهم خطط الشيخ بيوض، وقد كان همه الأول من أول درس ألقاه على العامة في المسجد سنة 1924م إذ دعا إلى إنشاء الشركات التجارية الإسلامية، لتعمير الوطن، زراعة وصناعة، و دعا إلى التعليم العصري العربي، والفرنسي، وتولي الوظائف الحكومية، لمنفعة المسلمين⁹².

لقد تبوأ طلبة معهد الحياة، مقاعد ومناصب سامية، في هيئات حكومية، وخاصة، تعليمية وإدارية، ورصعوا صدور الجامعات، والمؤسسات المختلفة، ونجحوا في شتى ميادين الحياة، التجارية والصناعية، والمهنية، وكل هذا من بركة وإخلاص الشيخ عدون، في رحاب معهد الحياة⁹³.

بفضل جهود معهد الحياة منذ 1925م في تكوين الإطارات، وتخرج المثقفين فقد وجد هؤلاء المثقفون أنفسهم في مقدمة إطارات الدولة الجزائرية، بعد الاستقلال، في مختلف المستويات، والتخصصات، فمنهم الأدباء، والأساتذة في الثانويات، والجامعات، ومنهم من واصل دراسته العلمية، خارج تونس في التخصصات العلمية كالهندسة، و الزراعة والحقوق في الكويت وسوريا، والعراق، والدول الأوروبية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، وأغلب هؤلاء تحصلوا على منح من جبهة التحرير الوطني، مكافأة لهم على جهودهم في صفوف الطلبة الجزائريين في تونس. ونذكر منهم بابهون بكير إطار في شركة سونتراك، والشيخ شريقي بالحاج، عضو المجلس الإسلامي الأعلى و بعده الشيخ بالحاج محمد بن بابه، والأستاذ بكوش يحيى عضو

⁹² - محمد علي ديوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (1975/1921) ج:5، ط1 مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر سنة 1982، ص 61.

⁹³ - د. باجو مصطفى، عندما تغيب شمس العلماء م س و06.

المجلس الأعلى للقضاء، والأستاذ لعساكر محمد قاضي المحكمة العليا، والشاعر محمد الخضر السائي، والأستاذ الحاج عيسى محمد المدير الجهوي لديوان الامتحانات والمسابقات لولايات الجنوب. والمهندس لكعص عبد المالك بن محمد إطار في الموانئ الجزائر، وجهلان قاسم بن بكير مدير مركزي بوزارة التربية، والقائمة طويلة.

أ. طلبة معهد الحياة مديرين تنفيذيين بالولايات:

وقد تقلد طلبة معهد الحياة مناصب إدارية نذكر منها مثلاً الإدارات التربوية حيث وصل من طلبة المعهد إلى رتبة مدير تربية الأستاذ بن عبد الله الناصر مدير تربية، في عدة ولايات، والأستاذ بكلي بالحاج مدير تربية. والأستاذ بيوض عمر مدير التربية بولاية خنشلة، الأستاذ إبراهيم مردوخ مدير الثقافة بولاية ورقلة.

ج. طلبة معهد الحياة إطارات في الهيئات الدولية:

خريجو معهد الحياة تقلدوا المناصب السامية في الهيئات الدولية تمثل الجزائر أحسن تمثيل ونذكر على سبيل المثال: الدكتور الخرفي صالح ممثل الحكومة المؤقتة في المهرجانات الدولية، ومسؤول العلاقات الثقافية بين الجزائر والبلاد العربية، لدى أول وزارة للتربية الجزائرية، ومدير معهد اللغة العربية وأدابها بجامعة الجزائر، ثم مدير تحرير مجلة الثقافة في المنظمة العربية للعلوم والثقافة، والمجاهد الشيخ بالحاج الحاج عمر بن الحاج محمد إطار دبلوماسي، سفير الجزائر في العديد من الدول. و الحاج الناصر المغربي المستشار الخاص الملك الحسن الثاني.

4. في قطاع العدالة والقضاء:

أ. طلبة المعهد قضاة ووكلاء الجمهورية

وفي سلك القضاء والعدالة تولى طلبة معهد الحياة هذا المنصب رغم خطورته ونظرة المشايخ والمجتمع الإباضي إلى المسؤولية الشرعية للقاضي وتورع الكثير من تولى منصب القضاء في محاكم تقضي بالقوانين الوضعية، فنذكر منهم مثلا: الشيخ احمد محمد بن عمر وكيل دولة و الأستاذ يحيى بكوش قاضي في المحكمة العليا، ولعساكر محمد بن عمر قاض في المحكمة العليا.

ب. طلبة المعهد محامين:

وفي المحاماة نجد من طلبة المعهد كذلك نذكر مثلا: بكوش صالح محامي، والأستاذ الزرويل إسماعيل، والأستاذ أحمد بن عنتر من الجزائر العاصمة.

ج. طلبة معهد الحياة موثقين:

ومن طلبة المعهد الذين تولوا منصب التوثيق رغم أن مهنة التوثيق حديثة في الجزائر نجد الأستاذ بوسعدة سعيد و الأستاذ يوسف تريح والأستاذ أبو بكر صالح.

5. طلبة معهد الحياة دكاترة وإطارات خارج الوطن:

للجزائر أن تفخر بمعهد الحياة، والإطارات التي تخرجت منه، فتبوأ مناصب سامية، في الدول العربية تونس وليبيا وعمان، فهي هو الشيخ علي يحيى معمر داعية الوحدة الإسلامية، ومنصف الإباضية من تهم كتاب المقالات، مفتشا عاما بوزارة التربية الليبية، و سعادة

الشيخ سعيد بن ناصر المسكري، وكيل وزارة الإسكان سابقاً، بسلطنة
عمان، والشيخ الناصر الزيدي إطار بالسفارة العمانية، و الشيخ يحيى
بن سفيان الراشدي إطار في وزارة التربية العمانية، و الدكتور خلفان
بن محمد المنذري في جامعة قابوس بسلطنة عمان.
د. أبوبكر صالح